مكانة بيت المقدس عند أول خليفة للمسلمين
أبو بكر الصديق ﷺ [1] (١١-١٣هـ)

بعد أن تُوفي رسول الله ﷺ كان أول أمر أصدره الخليفة الأول ، الذي ولي أمور المسلمين بعد الرسول ﷺ ، هو تسيير جيش أسامة إلى فلسطين [2] ، فلقد تولى أبو بكر أمور المسلمين بعد الرسول ﷺ ولابد أن يبدأ خليفة رسول الله عمله حيث انتهى عمل الرسول ، وقد كان آخر عمل قام به الرسول ﷺ قبل أن يُفارق الحياة هو إعداد جيش يحمل راية الإسلام ، ويحمل دعوة الإسلام ويتجه إلى بلاد الشام . . . حيث المسجد الأقصى الشريف ، فما هي إلا أيام على ولاية أبي بكر الصديق حتى كان جيش المسلمين يسير متجهاً إلى الشام ، بل متجهاً إلى القدس الشريف[3].

---

(١) أبو بكر الصديق عبد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم ابن مرة ، فهو يلتقي مع الرسول ﷺ في مُرة .
- الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، دار المعارف ، ٤٢٥/٣ .

(٢) دكتور عبد المقصود نصار : أولئك هم الراشدون ، دار الكتاب الجامعي ، الطبعة الثانية ، سنة ١٩٩٣ ، ص : ٣١ .

(٣) نفسه ، ص : ٢٢ . عبد الحميد الكاتب : القدس ، ص : ٣٩ .

ففي ظل الظروف الصعبة والأيام العصيبة لم تنصرف أنظار المسلمين عن القدس الشريف ، ولم تنصرف قلوبهم عن التطلع إلى القدس الشريف في تلك الأيام التي واجهوا فيها حروب الردة [1].

وكان من الطبيعي أن يُعبئ أبو بكر كل قوى المسلمين لمواجهة هذا الخطر الداهم في حروب الردة ، وأن يصرف النظر عن تلك الحملة التي كان رسول الله ﷺ قد أعدها إعداداً كاملاً ، قبل انتقاله إلى الرفيق الأعلى ؛ لكي يستعين بها أبو بكر في حروب الردة ولكن لأبي بكر رأي آخر لن يحيد عنه أبداً !!

فقد أدرك بحسه الإيماني الكبير ـ الذي يزن إيمان أمة ـ أن رسول الله ﷺ لم يُعد هذا الجيش ، ويُسيره في هذا الاتجاه إلا لأمر عظيم يعلمه الله ، ولابد أن وراء هذه الحملة دافعاً عظيماً ، وهدفاً سامياً .

فهل كان الدافع هو صد الروم عن الجزيرة العربية ، إذا ما سولت لهم أنفسهم غزوها وقهر المسلمين فيثدون الإسلام

---

(١) دكتور عبد المقصود نصار : أولئك هم الراشدون ، ص : ٣١ . نعمان الطيب سليمان : الخلفاء الراشدون ، ص : ٢٢ .

في مهده ، أم الهدف هو الوصول إلى أرض البلقاء والداروم في فلسطين بُغية الوصول إلى القدس الشريف لما له من مكانة وجلال عند رسول الله ﷺ [1].

فهل ينقض أبو بكر أمر رسول الله ﷺ وهل يصرف الجيش عن وجهته التي حددها الرسول ، وهي مشارف فلسطين ويختار له وجهة أخرى وهي محاربة المرتدين .

هذا ما لم يكن أن يفعله أبو بكر الصديق ، إذًا فليكن أول أمرٍ يُصدره خليفة رسول الله أمراً حازماً قاطعاً هذا نصه : « ليتم بعث أسامة » .

ويقول : « والذي نفس أبو بكر بيده ، ولو ظننت أن السباع تتخطفني لأنفذت جيش أسامة كما أمر رسول الله ﷺ »[2].

وسار أبو بكر على قدميه ، وكان أسامة على جواده في هذه اللحظة ، وكان هو الجواد الذي مات عليه أبوه في غزوة مؤتة[3]، وغلب الحياء على أسامة فقال لخليفة رسول الله :

---

(١) عبد الحميد الكاتب : القدس ، ص : ٤٤ .

(٢) دكتور عبد المقصود نصار : أولئك هم الراشدون ، ص : ٣١ ، دكتور نعمان الطيب سليمان : الخلفاء الراشدون ، ص : ٢٢ .

(٣) عبد الحميد الكاتب : القدس ، ص : ٤٦ .

« والله لتركبنَّ أو لأنزلنَّ » ، فقال أبو بكر : « والله لا تنزل ، ووالله لا أركب وما عليَّ أن أُغبر قدمي في سبيل الله ساعة »[1].

وسار الجيش متجهاً إلى المنطقة التي حددها رسول الله ﷺ ، وسار عشرين يوماً يقطع الصحراء الملتهبة بحرارة الشمس حتى بلغوا مؤتة ، ومضى أسامة هو وجنوده إلى الأمام حتى بلغوا الهدف الذي حدده لهم الرسول ﷺ نفسه وأكده لهم خليفة رسول الله فوطئت خيولهم البلقاء والداروم من أرض فلسطين[2].

ولكن ماذا كسب المسلمون من وراء هذه الحملة التي أصرَّ أبو بكر على إرسالها في وقت بالغ الحرج والخطورة .

ليست النتيجة من هذه الغزوة كما سطرها بعض المؤرخين من أنها نتائج مادية وفقط عاد بها أسامة من قطعان الإبل التي يسوقها ، أو الأسرى ، أو حتى ما أظهرته هذه الحملة من قوة المسلمين ... غريب أن يكون هذا هو الهدف من هذه الحملة ، وهذا مكسب المسلمين .

---

(١) دكتور نعمان الطيب سليمان وآخرون : الخلفاء الراشدون ، ص : ٢٢ .

(٢) دكتور سيد حسين العفاني : واقدساه ، ١٥٦/١ .

قد ذكر بعضهم قول أبي هريرة : «بأن العرب لما رأت بعث أسامة ، قالت : إن المسلمين في قوة في المدينة ، فمن أراد منهم أن يرتد ، خاف ورده ذلك» .

ولكن الواقع أن هذه الحملة على صغرها كانت هي الفاتحة ، هي فاتحة الفتوح الكبرى التي بدأت بعد هذا بقليل ، هي النقطة التي انطلق منها المسلمون بعد أقل من سنتين يفتحون الشام ، ويواجهون جيوش الروم ، ويهزمون تلك الجيوش في كل ما نشب من معارك ، ويرفعون راية الإسلام فوق ربوع فلسطين وما وراء فلسطين شمالاً وشرقاً وسائر بلاد الشام ، فلقد كانت هي الحملة الثالثة التي مهد بها المسلمون طريقهم إلى القدس الشريف ، وكانت الأولى هي غزوة مؤتة ، وكانت الثانية هي غزوة تبوك ، وكانت الثالثة وهي حملة أسامة بن زيد[1].

وبهذه الحملات تعرَّف المسلمون على الطريق جيداً ، وعرفوا من فيه من الأعداء ، ومدى قوتهم ، وكيفية دخول هذه البلاد التي سوف يُقيمون على أرضها يوماً حاملين راية الإسلام منتصرين .

---

(١) عبد الحميد الكاتب : القدس ، ص : ٤٩ .

عندما تأتي الفرصة لإعلان راية الإسلام في هذا المكان ، وإعلان زوال الكفر عنها وإعلان أنها أصبحت إسلامية ، ويُسأل عنها المسلمون أمام الله ﷻ .

ومن نتائج هذه الغزوة :

أنها كانت إعلاناً لاستعداد المسلمين لغزو هذه البلاد ، ورفع راية الإسلام عليها ،وزلزلة الكفر وأهله في هذه الأرض.

فعندما بلغ هرقل خبر جيش أسامة بن زيد دعا بطارقته في حِمص وقال لهم : « هذا الذي حذرتكم فأبيتم أن تقبلوه مني ، قد صارت العرب تأتي من مسيرة شهر فتغير عليكم ثم تخرج من ساعتها »[1].

واتخذت الخطوات النهائية لفتح بيت المقدس في حياة الصديق أبي بكر ﷺ لما لهذا المكان ولهذا المسجد ، من مكانة غالية وسامية في نفس أبي بكر ، وفي نفس الصحابة .

ففي أيام أبي بكر فُتحت مدينة غزة ، وهذا الفتح لمنطقة من الطرف الجنوبي لفلسطين حتى في الوقت الذي لم تبدأ فيه الفتوحات الإسلامية الكبرى دليل على أن المسلمين منذ

---

(١) دكتور حسين العفاني : واقدساه ، ١٥٦/١ .

البداية كانوا يتطلعون إلى فلسطين ، وبالذات إلى القدس الشريف[1].

دليل على مكانة المسجد الأقصى ، وهذه الأرض المباركة في نفس أبي بكر الصديق وعلى تطلع المسلمين إلى فلسطين والقدس الشريف من أول أمرهم ، وكان هذا سلوكاً عمليًّا تجاه هذه الأرض التي فيها مسرى رسول الله ﷺ ، من أول خليفة للمسلمين بعد رسول الله ﷺ ، ولم ينته تطلع المسلمين إلى المسجد الأقصى بنهاية عهده ، ولكن كان الفتح العظيم في عهد خلفه عندما رحل إلى الأرض المباركة ليتسلمها ، ويرفع راية التوحيد عليها في إجلال ووقار يُناسب قدسيتها في الإسلام .

* * *

(١) عبد الحميد الكاتب : القدس ، ص : ٥٣ .